الدراسات العربية والاسلامية بالولايات المتحدة

بقلم روم لاندو
الاستاذ بجامعة فرنسيسكو
تعريب وتحليل الاستاذ محمد بن زيان

يقيم الآن بمراكش عاصمة جنوب المغرب الاستاذروم لاندو Rom Landau الكاتب الشهير المعروف بوفرة تآليفه حول المغرب فى العهود الاخيرة ، وخاصة بكتابه القيم حول جلالة محمد الخامس ، ومغرب ما بعد الاستقلال ، وقد القى فى الرباط محاضرة قيمة حول الاستشراق فى الولايات المتحدة ، وقد تفضل جنابه فخص المجلة بهذا البحث الذي نقدم عنه شاكرين هذا التحليل الضافي :

استهل الاستاذ محاضرته معتذرا عن عدم امكانه مخاطبة الحضور المغاربة بلغة الضاد التي يقول عنها انها اغنى واقدم بكثير من اللغتين : الانجليزية والفرنسية ، وانها هي اللغة المختارة التي تحققت بها معجزة القرءان الكريم فى عهد كان اهل انجلترا وفرنسا يتكلمون بلغات ولهجات لم يكن فى مستطاع مالرو أو برنارشاو ، ولا فى مستطاع شيكسبير وفولتير ان يفهموا شيئا منها . ويزيد هذه الفكرة تأكيدا فيقول :

« اننا نحن الانجليز والفرنسيين لسنا سوى « أثرياء جدد » من الناحية الثقافية ، فى حين انكم (أي أنتم العرب) تتوفرون على لغة عريقة ، وقد تركز وجودها منذ القرن السابع الذي لم تكن تعرف فيه لا الفرنسية ولا الانجليزية » .

ويعطي بعد ذلك بيانا عن الصعوبات التي يعانيها الباحث الذي يدرس الاستشراق فى الولايات المتحدة، خلافا لما يجده من السهولة وغزارة المادة متى قام بالبحث فى فرنسا أو انجلترا معللا ذلك باسباب رئيسية ثلاثة وهي :

اولا : الغزو الاستعماري الذي جعل الانجليز والفرنسيين يوجهون عناية كبرى الى معرفة العرب والمسلمين ، وقد استولوا على معظم بلادهم فى القارتين الافريقية والاسيوية ، فدرسوا تاريخهم وحضارتهم وديانتهم ولغتهم ، وتكاثر عدد المستشرقين فيهم ، وظهر الاعلام والنبغاء ، الا ان معظمهم كانت لهم نزعات سياسية ، بينما لم يسبق للولايات المتحدة ان استولت على بلد عربي أو اسلامي ، فلم تكن اذن في حاجة الى معرفة العالم العربي والاسلامي .

ثانيا : بعد امريكا عن البلاد العربية والاسلامية ومدى اتساع الولايات المتحدة التي تقدر المسافة فيها بين سان فرنسيسكو ونيويورك بخمسة آلاف كيلومتر وهي تقريبا المسافة الفاصلة بين باريز وموسكو أو بين نيويورك والمغرب الاقصى . فليس غريبا اذن ان يكون

الامريكيون قد جهلوا حتى كلمة الاسلام الذي كانوا يطلقون عليه عبارة « المذهب المحمدي » . وحسب المواطن الامريكي ان يسعى لمعرفة عالمه الخاص الشاسع الاطراف وهو يتكون من ثمان واربعين ولاية يختلف بعضها عن بعض فى شتى النواحي .

اما فرنسا وانجلترا فهما رقعتان صغيرتان جدا بالنسبة لذلك العالم الجبار .

ثالثا : اشتغال الولايات المتحدة باليابان والصين وروسية والمانيا . ويقول الاستاذ روم لاندو فى هذا الصدد ان الصين وحدها لها جالية بسان فرنسيسكو ، اصبحت عبارة عن اعظم مدينة صينية تعرف خارج بلاد الصين ، بينما لا يكون العرب والمسلمون فى الولايات المتحدة سوى اقلية ضئيلة جدا باستثناء الجالية اللبنانية التي استوطنت منذ امد بعيد هوليود ولوس انجليس ، وقد تألفت بصفة عامة من عرب مسيحيين وانطبعت بطابع امريكي صرف ، فلم يقم افرادها من جراء ذلك بالدعاية للعروبة ولا للاسلام طبعا كما يفعل لصالح بلادهم وتاريخهم وحضارتهم غيرهم من الصينيين واليهود والفرنسيين والالمان .

وبعد هذه المقدمة اشار الاستاذ روم لاندو الى انه قضى فى التدريس بجامعة سان فرنسيسكو اربعة عشر عاما ثم دخل الى صميم الموضوع فقال :

« لما وصلت الى سان فرنسيسكو لم يكن يوجد بها كرسي للتدريس خاص بالمغرب ، وكان اذ ذاك في مجموع الولايات المتحدة عدد قليل جدا من الجامعات التي تهتم بالاستشراق . وقد ادهشني الاقبال على دراسة الاسلام وعلى محاضراتي التي كانت هي الاولى من نوعها فى غرب الولايات المتحدة ، الواقع على ساحل المحيط الهادىء . وكانت محاضراتي فى موضوع الاسلام والمغرب العربي . والحقيقة انه كان يوجد بجامعة برينستون وهارفار واربع او خمس جامعات اخرى كرسي للاستشراق ، وكان بعض الاساتذة يعتبرون فى مستوى المستشرقين الانجليز او الفرنسيين .

« واني اشرع فى الحديث عن المستشرقين بذكر الحقيقيين منهم ، اي الذين وجهوا عنايتهم خاصة للقرءان .

« ولعلكم تعرفون **ليفي دولفيدا** (Lévi de Lavida) وهو من كبار المستشرقين الايطاليين ، وقد اشتغل بما سموه نقد القرءان ؛ وفيه نقد سام ونقد بسيط ، يتعلق بالتعبير والاسلوب .

واذكر لكم ايضا **أرثور جفري** (Arthur Jeffrey) الذي لقي حتفه منذ سنتين فيما اظن ، وكان استاذا للغات الاسلامية بجامعة كلومبيا فى نيويورك ، وقد ترك عن القرءان مؤلفات لا تخلو من الاهمية ، منها ترجمة لهذا الكتاب . الا ان اسم هذا الرجل بقي مجهولا خارج أوساط المستشرقين . ومنهم **ماك دونالد** (D. P. MacDonald) الذي اهتم خاصة بدراسة علوم الدين والفقه دون القرءان . فألف الكثير فى هذا المجال . كما نذكر فى طليعة الذين تخصصوا في الشريعة الاسلامية بالولايات المتحدة **مجيد خدوري** وهو عراقي الاصل وامريكي الجنسية . قام بتأليف عدة كتب ، نخص بالذكر منها تأليفه عن الشافعي . ونشير ايضا الى **الدكتور شاخت** (Dr Schacht) الذي نشط فى البحث عن اصول الشريعة .

« وان انتم سألتموني عن وجود علماء مستشرقين فى مستوى الذين عرفناهم بفرنسا او انجلترا اجبتكم بنفي وجودهم فى الحالة الراهنة ، اذا كنا نقصد الاساطين والاعلام امثال الفرنسيين **كارادوفو** (Cara de Vaux) **ودوسلان** (De Slane) **ومسنيون** (Massignon) **وهانري تيراس** (H. Terrasse) ان شئتم لتضلعه فى تاريخ الفن المعماري ، وكذلك **ليفي بروفانصال** (Lévy Provençal) ، وامثال المستشرقين الانجليز كالسير **هاملتون جيب** (Sir Hamilton Gibb) وهو من كبار المستشرقين المعروفين بالرصانة ، **ونيكولسون** (R. A. Nicholson) الذي امتاز بأعظم مؤلف عن تاريخ الادب فى العالم العربي ، **ومنغمري واطس** (Mongomery Watts) الذي ألف كتابا عن حياة محمد فى مكة ، وآخر عنه فى المدينة بصرف النظر عن مؤلفاته العديدة فى علوم الدين والفلسفة ، وكذا الاندلس . ومن الذين اخصهم بالذكر فى هذا الصدد صديقي الاستاذ **اربيري** (Arberry) الذي لم يسبق لغيره فى تاريخ انجلترا ان جمع بين تدريس الفارسية والعربية ، وقد انفرد فى جامعة كمبريدج بهذين الكرسيين ؛ منذ خمسة عشر عاما ، وهو الذي اتحفنا بأبدع ترجمة انجليزية للقرءان ، كما نشر ايضا اكثر من خمسين كتابا ؛ من بينها ترجمات جديدة لما خلفه عمر الخيام بالاضافة الى تأليفه عن التصوف وعن ابن الرومي والشافعي ؛ كما قام بترجمة شعراء المغرب فى القرنين الرابع والخامس عشر وابن حزم والشعراء المحدثين المصريين .

« وهذه طبقة من المستشرقين لا وجود لمن يماثلها الآن فى الولايات المتحدة » .

ثم يواصل المحاضر عرضه عن تطور الاستشراق في هذه البلاد ، ويركز الكلام على ما سماه بالدراسات « الاكديمية » ، فيذكر ان الولايات المتحدة قد انشات كراسي لهذا النوع من التدريس في سبع عشرة جامعة، اشهرها : جامعة برينستون ، وشيكاغو ، وميشيكان ، وبالتيمور ، وبالاخص هارفار التي هي اقدم جامعة امريكية حيث انها اسست منذ سنة 1636 ـ اي بعد ان حل الانجليز بأمريكا بست سنوات . وكان المشرف اخيرا على الاستشراق في هذه الجامعة الهامة ، هو الاستاذ الانجليزي السير هاملتون جيب الذي لم يال جهدا في الاعتناء بنشر الثقافة والعلوم الاسلامية .

ومما يدل على هذا الاعتناء وكذلك على اقبال الامريكيين على الاستشراق ، ان السير هاملتون جيب طلب في سنة 1960 من الاستاذ روم لاندو ان يقدم من سان فرنسيسكو الى هارفار لالقاء محاضرة حول فلسفة ابن العربي ، فلبى الاستاذ الدعوة وقطع مسافة خمسة آلاف كيلومتر وتحدث امام عدد كبير من الاساتذة والطلاب المتقدمين ، ووجد من بين الحضور طائفة جاءت للاستماع والاستفادة من واشنطون ونيويورك ، وقد نظمت بعد المحاضرة حفلة عشاء القيت فيها الخطب « ولم يكن هذا كله لا على شرف كارل ماركس ولا شوبنهاور ولا ديكارت ولا افلاطون ، وانما كان على شرف فيلسوف يجهله المسلمون انفسهم على وجه العموم (كذا) » .

وبالاضافة الى الجامعات السبع عشرة المذكورة اشار المحاضر الى جامعة هارتفورد وهي مؤسسة دينية قديمة تمتاز بما تقوم به من النشاط في ميدان المقارنة بين الاسلام والمسيحية . كما لفت الانظار الى وجود قسم عربي في جامعة ماكسوال ولاية الاباما وهي مؤسسة انشئت في قاعدة خاصة للطيران ، وذلك زيادة على ما يوجد في الولايات المتحدة من مدارس عسكرية تقرر تعليم العربية فيها كمدرسة موتري بكاليفرنيا وغيرها . اما خارج الولايات المتحدة فقد اسست منذ قرن جامعة امريكية هامة في بيروت ، واخرى في القاهرة ، وثالثة في مدينة طنجة بالمغرب منذ ثلاث سنوات ، يقضي فيها الدبلوماسيون الامريكيون عاما او عامين ، وهم يعملون ستة ايام في الاسبوع ، وثمان ساعات في كل يوم .

ثم ان الحكومة الامريكية جادة في العمل على تشجيع دراسة اللغة العربية في المستوى الجامعي ، فبلغ عدد المنح المخصصة لذلك حاليا 900 منحة ، ولم يعرف لهذا القدر سابق .

ومواد التعليم في الاقسام العربية بالجامعات الامريكية هي العلوم السياسية والاقتصادية على وجه العموم ، علاوة على اللغة والتاريخ والفلسفة ، وكذلك الفنون ، وان كانت هذه الاخيرة تحتل في الحالة الراهنة مكانة تافهة .

وبناء على خبرته الواسعة في ميدان التدريس الجامعي بالولايات المتحدة ، يذكر الاستاذ روم لاندو ان طلاب هذه البلاد يتوقون الى الفلسفة اليونانية والارسطاليسية منها بصفة خاصة . وبما ان ابن رشد هو الذي يرجع له الفضل الاكبر في نقلها وتاويلها والتوسع فيها فانهم يهتمون به اهتماما شديدا ، وهو الناقل العبقري لعلم المنطق ، وواضع الاسس العلمية الكبرى التي كانت سببا لانطلاق النهضة الغربية ، وقد تطورت اوربا بعد ذلك حتى انجبت نيوطون وآينشتاين. كما يهتم طلاب الولايات المتحدة أيضا بسائر مفكري الاسلام وعلماء الطب والرياضيات .

ثم يعود المحاضر الى التعليم الجامعي ويذكر ابرز الشخصيات في مجال الاستشراق .

فمنهم الاستاذ فيليب حتي (Pihilip Hitti) اللبناني الاصل الذي انشأ القسم العربي بجامعة برينستون ، وهي الجامعة الكبرى التي قضى فيها آينشتاين السنوات العشر الاخيرة من حياته . اما فيليب حتي فانه معروف بكثرة ما كتبه عن لبنان وتآليفه في تاريخ العرب العام .

ومنهم الاستاذ الامريكي كارلتون كون (Carleton S. Coone) الذي يشيد به المحاضر باعجاب كبير ، ويقول عنه انه شغل كرسي علم الآثار والانسان في جامعة هارفار قبل ان يشرف على احد المتاحف الكبرى . ومن اهم مآثره ابحاثه القيمة وتاليفه العظيم عن البربر الذي يضعه الاستاذ روم لاندو في طليعة ما كتبه في هذا الموضوع العلماء الانجليز او الفرنسيون . وقد الف كتابا آخر بعنوان « القافلة » تكلم فيه عن البربر وعن الفرس والاتراك واليهود .

ومنهم الاستاذ كويلريونج (Cuyler Young) خلف الاستاذ حتي في جامعة برينستون ، وله دراسات خاصة عن تركيا .

ومنهم الاستاذ جورج رانتز (George Rentz) بجامعة ستانفورد الذي يتقن لغة الضاد اتقانا عجيبا وقد شارك في الموسوعة العربية بمقال رائع حول جزيرة العرب . وتوجد في نفس الجامعة الدكتورة كريستينة هاريس(Dr Christina Harris) ولها اختصاص في المسائل المصرية .

ومنهم الاستاذ الكندي كانتول سميت (Cantwell Smith) وهو مشتغل في جامعة برينستون بدراسة الاسلام في الباكستان .

ومنهم غوستاف فون كرونبوم (Gustave von Grunebaum) وهو يهودي الماني يشغل في جامعة كاليفرنيا بلوس انجليس كرسي اللغة العربية .

ومنهم ويليام يال (William Yale) وسيدني فيشير (Sidney Fisher)

وفيما يخص خزانات الكتب فان للولايات المتحدة ثروة تضاهي ثروة استنبول ومدريد ، ويوجد اهمها بجامعات برينستون وهارفار ويال ، وهي غنية بالمخطوطات النفيسة والنادرة الوجود .

ومن جملة ما ينشر في الولايات المتحدة مجلتان لا تقلان اهمية عن المجلات الانجليزية والفرنسية : احداهما ذات صبغة سياسية يصدرها بواشنطون معهد الشرق الاوسط اربع مرات في السنة وهي ، وان كانت تحمل عنوان«مجلة الشرق الاوسط» فانها تشمل العالم العربي كله بما تدونه عنه من الاخبار التي تكاد تكون يومية ، الى جانب ما ياتي فيها من نقد للكتب المتعلقة بالاستشراق .

والثانية مجلة « العالم الاسلامي » التي تصدر في هارتفورد ، ولها صبغة فلسفية ودينية .

ولقد عرفت الجامعات الامريكية طائفة من الاساتذة والكتاب العرب الذين استوطنوا الولايات المتحدة واتخذوا الجنسية الامريكية ، منهم الاستاذ خدوري العراقي الاصل ، والاستاذ حتي اللبناني ، اللذان سبق ذكرهما .

ومنهم الاستاذ شارل عيسوي بجامعة كلومبيا في نيويورك ، والعراقي السيد محمد المهدي الذي كان يدرس اللغة العربية في سان فرنسيسكو ، وهو الآن مشتغل بالقضية الفلسطينية التي يعد احد زعمائها في امريكا .

ومنهم الاستاذ الهواري السوري الذي يعمل بجامعة آن أربور (Ann Arbor) بولاية الميشيكان ، وقد قام بأبحاث قيمة حول الغزالي .

ومنهم الاستاذ فائز الصايغ الذي الف كتبا عديدة في مواضيع سياسية عربية .

اما المصنفات التي نشرت باللغة الانجليزية في الولايات المتحدة ، فنذكر من بينها مقدمة ابن خلدون في ثلاثة اجزاء ، ورحلة ابن بطوطة ، وغير ذلك من التآليف التي الفها بعض المحدثين امثال طه حسين وعلال الفاسي الذي ترجم كتابه في « تاريخ الحركات الاستقلالية في المغرب العربي » وادريس الشرايبي الذي ظهرت طبعة امريكية لقصته الفرنسية « الماضي البسيط » ومحمد اقبال الفيلسوف الباكستاني الشهير الذي يتمتع بنفوذ كبير في اوساط المستشرقين .

واما كتب خليل جبران فانها نقلت الى اللغة الانجليزية ولقيت اقبالا عظيما بحيث اصبحت تباع بمئات الآلاف ، ولا سيما كتابه المشهور الذي صدر تحت عنوان « النبي » .

وهناك كتب اخرى ألفت حول المغرب العربي الا ان معظمها يمتاز بصبغة سياسية ، ونذكر من بين مؤلفيها السادة : دوكلاس اشفورد (Douglas Ashford) وشارل كالاغير (Charles Gallagher) ولورنا هاهن (Lorna Hahn) وريشار براس (Richard Brace) وداود كوردون (David Gordon) وشارل ستيوار (Charles Steward) وبول باولس (Paul Bowles) وهو امريكي يقيم بمدينة طنجة ، وقد نشر عدة قصص تتعلق بالمغرب والجزائر .

واخيرا اشار الاستاذ روم لاندو في محاضرته الممتعة الى المراكز والاندية الاسلامية التي يقول عنها انها تركزت في نحو عشرين مدينة امريكية ، وان المترددين عليها من مسلمين وغيرهم من الذين اعتنقوا الاسلام ينظمون الحفلات الدينية والمحاضرات ، كما يقيمون الصلوات في مساجد شيدت لذلك ، ومن بينها خصوصا مسجد واشنطون الذي يمتاز بسمته واناقته وابهته .